الجانب اللغوي عند الإمام البيضاوي في سورة البقرة

*الدكتور محمد الياس

**حافظ خدابخش

ABSTRCT

In the name of Allah, The most Merciful the most Beneficent. All praise are for him who is worthy of real praise. Darood u salam is for Him who is the greatest obligor. There is deep relation between Arabic language and knowledge of interpretation. If we have not full knowledge of language knowledge, we cannot make correct interpretation and translation of the Holy Quran. This is why scholars concluded that the grip oflanguage knowledge is essential for an interpreter. Interpretation of Imam Baizawi"Anwar ul Tanzeel and Arar ul Taweel" has high status in interpretations.

This interpretation/Tafseer is not only famous for literature and preaching but also it covers a lot of other knowledge.

This debate indicates only the language knowledge of word. Along with the interpretation of Baizawi, those I have also written those words which have been mentioned in the interpretations of other interpreters.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المتهد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله أما بعد:

فمن الوضوح بمكان أنه لا يوجد فى التاريخ كتاب حظى بعناية الباحثين مثلما حظى به القرآن الكريم الذى كتب حوله آلاف الكتب وسيظل يكتب عنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. كان اهتمام المسلمين بالقرآن. انطلاقا من إيمانهم واعتقادهم الجازم به. من وجوه مختلفة: ومنهم من درسه من حيث الأحكام وإستنباط المسائل الفقهية

* الأستاذ المساعد قسم اللغة العربية الجامعة الإسلامية بهاولفورباكستان

** الباحث بمرحلة الدكتوراه قسم اللغة العربية الجامعة الإسلامية بهاولفورباكستان

ومنهم من درسه من حيث استخراج أدلة أصول العقيدة الإسلامية، ومنهم من درسه من حيث معرفة وجوه القراء ات المختلفة؛ وبعضهم درسه ليتعرفوا على أسباب نزوله، وطائفة إعتنوا بجانب اللغة شرحا لغريبه وبيانا لإعرابه وفهم أساليبه أو إبراز بلاغته وكشف أسرار إعجازه ونظمه. وقد أدى ذلک إلى نشأة علوم متعددة ومنها علم النحو. لعب القرآن الكريم دوراً هاماً فى وضع ونشأة قواعد النحو العربى وسن قوانينه كما لعب النحو دوراً هاماً فى تفسير القرآن الكريم وكشف أسراره وإظهار يواقيته ودرره. وظهر منذ بدايات تفسير القرآن أساطين لهذا العلم حتى كان من بين الصحابة من يهتم بهذا الجانب، ولكن الاهتمام الجاد بدأ على يد شيخ اللغويين أبى الأسود الدؤلى. ومن الأساليب الأساسية مظهور هذا العلم:

١- اختلاط العرب بغير العرب بالمعيشة أو المصاهرة أو التجارة.

٢- دخول كثير من بلاد الأعاجم فى الإسلام ومحاولة أهلها فهم القرآن وبالتالى وقوعهم فى أخطاء جسيمة اقتضى أن توضع قواعد للغة كى يصونوا لسانهم من الوقوع فى الأخطائ.

فأدى السببان الماضيان وغيرهما من الأسباب إلى ظهور اللحن فى اللغة العربية عند أصحابها. فخاف علماء المسلمين. من رؤية هذا الظاهرة على اللغة من الضياع؛ فبالتالى خافوا على القرآن الكريم من أن يساء فهمه بعد مر الأزمان ويؤدى ذلک إلى تحريفه كما حصل للكتب السماوية السابقة؛ فبدأوا باستجماع اللغة وبسن قواعدها. ومن جانب آخر احتاج المسلمون من غير العرب إلى معرفة اللغة العربية كى يتمكنوا من فهم القرآن الكريم فهما صحيحا، فوضعت القواعد كى يسهل الأمرلهم. وجاء بعد أبى الأسود الدؤلى علماء أفذاذ اتبعوا المسار نفسه ووضعوا باكورة القواعد واتخذوا فى سن القوانين مناهج خاصة بهم. فمن هنا اختلفوا فى الأصول التى اتخذوها. وقد أدى اختلافهم فى مناهج الدرس النحوى إلى الانقسام إلى مذاهب نحوية عديدة نذكر أهمها مدارس البصرة والكوفة والأندلس ومصر وبغداد ومعظم أئمة النحو يتبع إحدى هذه المدارس. ثمة علماء لم يتبعوا تلک المدارس بل

استقلوا بآراء خاصة بهم؛ بل هناك بعض العلماء عاشوا فى دائرة مدارس نحوية خاصة ولكنهم خرجوا عليها فى بعض الآرائ.

وهكذا يمثل الاتجاه اللغوي اساساً قوياً من الأسس التي بني عليها الإمام البيضاوي في تفسيره واعتمد عليها اعتماداً واضحاً لكتاب الله العزيز الذي نزل "بلسان عربي مبين"(1).

وقد ذكر العلماء ان هذاالعلم ضروري للمفسرأوهي الشروط التي يجب ان تتوفر فيمن يقدم علي تفسير القرآن الكريم كما في البحر المحيط(2)وروح المعاني(3).

ومن قبله مجاهد :"لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخرأن يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلغات العربية.(4)

والحقيقة ان عدم التضلع في علوم اللغة العربية افراداً وتركيباً اعراباً واشتقاقاً يؤدي الي الوقوع في الخطأ وإلي تحريف الكلم عن مواضعه.

ولينظر الي بعض الأخطأ التي وقعت لجماعة من كبار العلماء بسبب عدم تمنعهم في معني اللفظية.(5)

لهذا نري اهتمام المفسرين في هذا العلم فاتخذوا منه أداة لتوضيح الآيات بل جعلوه من آلات صناعتهم فنشأت عندها العلاقة بين علم اللغة وعلم تفسيرالقرآن الكريم للوصول إلي المقصد الاسمي في كل آية من آياته والغاية النبلي فأصبحت علاقة واجبة متلازمة.

وبعد أن علمنا حقيقة العلاقة بين التفسيروعلم اللغة سنري في بحثنا اعتناء الإمام البيضاوي بالجانب اللغوي في تفسيره"انوار التنزيل واسرارالتأويل".

ويعتبر تفسيرالبيضاوي المسمى ‘‘أنوار التنزيل وأسرار التأويل’’ من أشهر كتب التفسير وأجمعها أقوالاً مع تلخيص وإيجاز، وأيسرها تناولاً ووضوح عبارة، فسر فيه القرآن الكريم كاملاً وجمع بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة والمعتزلة.

فانى قدقمت بدراسة اللغوية لسورة البقرة من القرآن الكريم من تفسيرانوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوى وكان البيضاوى أحد الائمة الأعلام يحكم بقوله ويرجع إلىٰ رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه، فيه أحد من أهل عصره وقد إشتهر فى مجال الأدب الدينى بسبب تفسيره هذا جآء فيه بصنوفٍ من مباحث لغوية:وفي القرآن الكريم:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (6)

الإيمان:

وفي تفسيرالبيضاوي:

والإيمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن كأن المصدق أمن من المصدق التكذيب والمخالفة.(7)

وفي التفسيرالمنير: يُؤْمِنُونَ الإيمان: هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها، ويدل عليه العمل.(8)وقال تعالي: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (9)

الإنفاق:

وفي تفسيرالبيضاوي:

وأنفق الشيء وأنفده أخوان ولو استقريت الألفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الإنفاق صرف المال في والخطف الأخذ بسرعة وقرىء يخطف بكسر الطاء.(10)سبيل الخير من الفرض والنفل.(11)

(يُنْفِقُونَ) نفق الشيء ونقد بمعنى واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء دالّ على معنى النّفاد والخروج والذهاب يقال : نفث الشيء من فيه : رمى به ونفث في العقد ومن أقوالهم : « لا بد للمصدور أن ينفث »

و« هذه نفثة مصدور » ونفق الحمار : مات والتقصّي في هذا الباب ، يضيق عنه صدر هذا الكتاب وهو من عجائب ما تميّزت به لغتنا الشريفة وسيأتيك الكثير من أمثاله في هذا الكتاب العجيب.(12)

وقال تعالي: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (13)

أَنذَرْتَهُمْ:

وفي تفسيرالبيضاوي:

والإنذار التخويف أريد به التخويف من عذاب الله وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من حيث إن دفع الضر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى.(14)

وفي التفسيرالمنير: أَأَنْذَرْتَهُمْ الإنذار: الاعلام مع التخويف.(15)

وقال الصابوني في تفسيره:

[أنذرتهم] الإنذار : الإعلام مع التخويف ، فإن خلا من التخويف فهو إعلام وإخبار ، لا إنذار.(16)

وقال الله تبارك وتعالي في كلامه:

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (17)

أليم:

وقال البيضاوي في تفسيره:

ولهم عذاب أليم (أي مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله " تحية بينهم ضرب وجيع " على طريقة قولهم جد جده .(18)

وقال تعالي: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (19)

بَدِيعُ:

وقال الإما البيضاوي:

الإبداع اختراع الشيء لا عن الشيء دفعة وهو أليق بهذا الموضوع من الصنع الذي هو تركيب الصور لا بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرىء بديع مجرورا على البدل من الضمير في له وبديع منصوبا على المدح.(20)

وقال الدكتور الذهيلي في تفسيره:بَدِيعُ مبدع، والإبداع: هو إيجاد الشيء بصورة مخترعة على غير مثال سابق.(21)

وقال تعالي: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (22)

والتجارة:

وفي تفسير البيضاوي:

التجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال(23)

وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (24)

الجنة:

في تفسير البيضاوي:

والجنة المرة من ال جن وهو مصدر جنة إذا ستره ومدار التركيب على لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة. (25)

وفي تفسيرالمنير:

جَنَّاتٍ حدائق ذات شجر ومساكن، وهي دار الخلود للمؤمنين، وسميت جنة، لأنها تجنّ من فيها أي تستره بشجرها.(26)

وفي الجدول:

(جنّات)، جمع جنّة، اسم جامد مأخوذ من فعل جنّ بمعنى ستر، وسمّيت كذلك لأنها مكان مستور أو ساتر لكثرة الأشجار، وزنه فعلة بفتح الفاء وسكون العين.(27)

وقال الله تبارك وتعالي:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (28)

وقال الإمام البيضاوي:

حتى نرى الله جهرة (عيانا وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة.(29)

وفي التفسيرالمنير: جَهْرَةً عيانا واضحا بالبصر.(30)

[جهرة] علانية ، وأصل الجهر : الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة والجهر بالمعاصي يعني المظاهرة بها ، تقول : رأيت الأمير جهاراً أي غير مستتر بشئ ، وقال ابن عباس : جهرة : عيانا(31)

وقال تعالي:

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (32)

خَتَمَ:

وقال الإمام البيضاوي:

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة (تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه والغشاوة فعالة من غشاء إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة.(33)

وقال الدكتور الذهيلي:

خَتَمَ اللَّهُ طبع الله عليها بالخاتم، والمراد: أغلقت قلوبهم، فلا يدخلها إيمان ونور.(34)

وقال الله تبارك وتعالي:

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ (35)

الخدع:

وفي تفسير البيضاوي:

يخادعون الله والذين آمنوا (الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب إذ توارى في جحره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارس إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا تخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته.(36)

وفي التفسيرالمنير:

يُخادِعُونَ يعملون عمل المخادع، والخداع: صرف الغير عما يقصده بحيلة، والمراد هنا:

إظهار الإسلام وإضمار الكفر.(37)

وقال الصابوني:

[يخادعون] الخداع : المكر ، والاحتيال ، وإظهار خلاف الباطن ، وأصله الإخفاء ومنه سمى الدهر خادعاً لما يخفي من غوائله ، وسمى المخدع مخدعا لتستر أصحاب المنزل فيه.(38)

وفي اعراب القرآن:

(يُخَادِعُونَ) الخداع في الأصل : الإخفاء ومنه الأخدعان وهما عرقان مستبطنان في العنق ومنه أيضا المخدع وهو داخل البيت ثم أطلق على اظهار غير ما في النفس.(39)

وقال تعالي:

وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (40)

خَالِدُونَ:

وفي تفسير البيضاوي: وهم فيها خالدون (دائمون والخلد والخلود في الأصل الثبات)(41)

وفي التفسيرالمنير:

وَهُمْ فِيها خالِدُونَ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون، والخلود: البقاء، ومنه جنة الخلد.(42)

ملخص البحث

ناقشت هذه المقالة مباحث من تفسير البيضاوي تكلم فيها البيضاوي عن أحوال المفردات اللغوية ومعانيها واستعمالاتها مع مقارنة بينها وبين مافي التفاسيرالأخري حول تلك الكلمات.

فظهر أنها أبحاث في غاية الدقة والأهمية زاد في بعضها المؤلف عن غيره والتمس لما اختاره من المعاني خاصة عند اختلاف الآراء دلائل من العقل واستعمال العرب مما يدل علي كثرة اطلاعه وسعة معرفته بدقائق اللغة العربية وأسرارها.

وتأثر البيضاوي بأهل اللغة ونقل عنهم ويبدو ذلك واضحاً في تفسيره فنقل عن الخليل وسيبويه وثعلب والزجاج والمبرد والأزهري وغيرهم.

وفي الختام اشكرالله تعالي وأثني عليه الخيركله علي ما منَّ ،ويسروأعان علي اتمام هذا الجهد وسلك بي سبيل العلم.

وأتوجه بالدعاء إلي الله تعالي أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم كما أساله العون والتوفيق لخدمة كتابه وإعلاء كلمته.

الهوامش

1. سورة الشعراء,الآية:190
2. ابوحيان،مُحَمَّد بن يوسف الاندلسي،تحقيق:عناية صدقي مُحَمَّد جميل،البحرالمحيط،دارالفكر،بيروت،1992م،6/1
3. الآلوسي،شهاب الدين،روح المعاني،داراحياء التراث العربي،بيروت،5/1
4. الزركشي،بدرالدين مُحَمَّد بن عبدالله،تحقيق:ابوالفضل ابراهيم،البرهان في علوم القرآن،295/1
5. سورة البقرة:الآية:3
6. البيضاوي ،ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، انوارالتنزيل واسرارالتأويل المعروف بتفسيرالبيضاوي،دار الفكر – بيروت،106/1
7. الزحيلي ،د- وهبة بن مصطفى ، التفسيرالمنير ،دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، 1418 هـ:73/1
8. سورة البقرة:الآية:3
9. تفسيرالبيضاوي،207/1
10. تفسيرالبيضاوي،121/1
11. محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه،دار الإرشاد . سورية ،23/1
12. سورة البقرة,الآية:4
13. تفسيرالبيضاوي،141/1
14. التفسيرالمنير:77/1

15. الصابوني،مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير،[الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة – جامعة الملك عبد العزيز ، دار الصابوني]،23/1

16. سورة البقرة:الآية:10

17. تفسيرالبيضاوي،167/1

18. سورة البقرة:الآية:117

19. تفسيرالبيضاوي،390/1

20. التفسيرالمنير:286/1

21. سورة البقرة:الآية:16

22. تفسيرالبيضاوي،207/1

23. سورة البقرة:الآية:25

24. تفسير البيضاوي:244/1

25. التفسيرالمنير:105/1

26. صافي ،محمود بن عبد الرحيم، الجدول في اعراب القرآن, دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق،الطبعة : الرابعة ، 1418 هـ،82/1

27. سورة البقرة:الآية:55

28. تفسيرالبيضاوي،325/1

29. التفسيرالمنير:165/1

30. صفوة التفاسير:33/1

31. سورة البقرة:الآية:7
32. تفسيرالبيضاوي،144/1
33. التفسيرالمنير:77/1
34. سورة البقرة:الآية:9
35. تفسيرالبيضاوي،163/1
36. التفسيرالمنير:80/1
37. صفوة التفاسير:16/1
38. اعراب القرآن وبيانه:30/1
39. سورة البقرة:الآية:19
40. تفسيرالبيضاوي،244/1
41. التفسيرالمنير:105/1